

٦

سلسلة التنبيهات العلمية

عذب الفدير
في بيان التأويلات
في كتاب

فَتَاحُ الْقَدِيرِ

للشوكاني

د. محمد بن عبد الرحمن بن الحبيب

سلسلة التنبیہات العلمیة «٢»

**عذب الغدير
في بيان التأويلات
في كتاب فتح القدير
للشوكاني**

تأليف

د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

③ دار الصميعي للنشر والتوزيع ، ١٤١٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية

الخميس ، محمد بن عبد الرحمن

عذب الغدير في بيان التأويلات في كتاب فتح القدير
للشوكاني .

٥٦ ص : ١٢ × ١٧ سم (سلسلة التنبیہات العلمية : ٢)

ردمك : x - ٢١ - ٦٧٠ - ٩٩٦٠

١- القرآن - دفع مطاعن ٢- القرآن - تفسير

أ- العنوان ب- السلسلة

ديري ٢١٦,٢ ١٤/١٩٢٤

رقم الإيداع : ١٤/١٩٢٤

ردمك : x - ٢١ - ٦٧٠ - ٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ

دار الصميعي للنشر والتوزيع

هاتف ٤٢٦٢٩٤٥ - ص.ب ٤٩٦٧ الرياض ١١٤١٢





بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله
من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل
له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده
لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا
وأنتن مسلمون﴾^(١)

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس
واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساءً
واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم
رقيبا﴾^(٢)

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح
لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله
فقد فاز فوزا عظيما﴾^(٣)

(١) سورة آل عمران الآية (١٠٢) . (٢) سورة النساء الآية (١) .

(٣) سورة الاحزاب الآيتان (٧٠ : ٧١) .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي
محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل
بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

أما بعد : فإن كتاب التفسير الشهير الموسوم بـ«فتح
القدير الجامع بين فني الدراية والرواية من علم التفسير»
للإمام العلامة محمد بن علي الشوكاني ، رحمه الله تعالى ،
هو من التفاسير الشائعة بين طلبة العلم ، وهو من
الكتب المقرر دراستها في بعض الكليات الشرعية ، وهو
تفسير عظيم النفع من كل ناحية ، ويجد فيه الباحث
وطالب العلم بغيته ومراده في الغالب ، حيث إن مؤلفه رحمه الله

مجتهد اجتهاداً مطلقاً ، متبحر في كافة العلوم الشرعية ،
ويعتبر تفسيره هذا أصلاً من أصول التفسير ، ومرجعاً
مهما من مراجعه ، فهو تفسير جامع بين التفسير بالدراية
والتفسير بالرواية ، وقد أحسن حيث فسر بالدراية ،

وتوسع حيث فسر بالرواية وأما عن طريقته في تفسيره هذا فقد بينها حيث قال: (. . . ووطنت النفس على سلوك طريقة هي بالقبول عند الفحول حقيقة . . . إلى أن قال: إن غالب المفسرين تفرقوا فريقين، وسلکوا طريقين: الفريق الأول اقتصروا في تفاسيرهم على مجرد الرواية وقنعوا برفع هذه الراية، والفريق الآخر جردوا أنظارهم إلى ما تقتضيه اللغة العربية، وما تفيده العلوم الآلية، ولم يرفعوا إلى الرواية راسا، وإن جاءوا بها لم يصححوا لها أساسا، وكلا الفريقين قد أصاب، وأطال وأطاب . . . إلى أن قال: وبهذا تعرف أنه لا بد من الجمع بين الأمرين، وعدم الاقتصار على مسلك أحد الفريقين، وهذا هو المقصد الذي وطنت النفس عليه، والمسلك الذي عزمت على سلوكه إن شاء الله مع تعرضي للترجيح بين التفاسير المتعارضة مهما أمكن واتضح لي وجهه، وأخذي من بيان المعنى العربي

والإعرابي والبياني بأوفر نصيب، والحرص على إيراد ما ثبت من التفسير عن رسول الله ﷺ، أو الصحابة أو التابعين أو تابعيهم أو الأئمة المعترين إلى أن قال: فهذا التفسير وإن كبر حجمه، فقد كثر علمه، وتوفر من التحقيق قسمه وأصاب غرض الحق سهمه، واشتمل على ما في كتب التفسير من بدائع الفوائد، مع زوائد فوائده، وقواعد شوارده، فإن أحببت أن تعتبر صحة هذا التفسير على ظهر البسيطة، انظر إلى ما في المعتبرين على الرواية، ثم ارجع إلى تفاسير المعتبرين على الدراية، ثم انظر في هذا التفسير بعد النظرين، فعند ذلك يسفر الصبح لذي عينين، ويتبين لك أن هذا الكتاب هو لب اللباب وعجب العجائب، وذخيرة الطلاب، ونهاية مأرب الألباب، وقد سميته (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) مستمدا من الله سبحانه بلوغ الغاية . . . (١)

فهذا يوضح منهجه في تفسيره وهو الجمع بين الرواية وبين التفسير من خلال اللغة وغيرها بعيدا عن الرأي المنهي عنه وهذا مما يرفع ويُعلي من قيمة هذا التفسير في بابه، غير أن الكمال لله وحده سبحانه فقد وقع في هذا التفسير زلات وهنات، فيما يتعلق بتأويل بعض الصفات، وقد رأيت من واجبي تنبيه طلبة العلم إليها، ذلك مع العلم بأن المؤلف في كتبه الأخرى، قد أثنى على طريقة السلف في الإثبات، وحصر الحق فيها، وانتقد المتأولين في الصفات، فمن ذلك قوله في كتاب (التحفي في مذاهب السلف): «ومن جملة الصفات التي أمرها السلف على ظاهرها، وأجروها على ما جاء به القرآن ولسنة، من دون تكلف ولا تأويل، صفة الاستواء التي ذكرها السائل، يقولون نحن نثبت ما أثبت الله لنفسه من استوائه على عرشه على هيئة لا

يعلمها إلا هو، وكيفية لا يدري بها سواه، ولا نكلف
أنفسنا غير هذا، فليس كمثله شيء، لا في ذاته ولا في
صفاته إلى أن قال: والحق ما عرفناك من مذهب
السلف الصالح، فالاستواء على العرش والكون في تلك
الجهة قد صرح به القرآن الكريم في مواطن أكثر
حصرها، ويطول نشرها، كذلك صرح به رسول الله
ﷺ في غير حديث، بل هذا مما يجده كل فرد من أفراد
الأسر في نفسه، ويحسه في فطرته، وتجذبه إليه طبيعته
كما تراه في كل من استغاث بالله سبحانه والتجأ إليه،
ووجه أدعيته إلى جوابه الرفيع، فإنه يشير عند ذلك
بكفه، ويرمي إلى السماء بطرفه»^(١).

(١) التحف في مذهب السلف ص ١١. ١٢.

فانظر إلى قوله: «والحق ما عرفناك من مذهب السلف الصالح» فإنه صريح في أن ذلك مذهبه، ومما يوضح كذلك أن مذهبه مذهب السلف رده على المعتزلة والمعتزلة وغيرهم ممن نفى رؤية الله تعالى في الآخرة، فقد ندد بهم وأنكر عليهم إنكاراً شديداً، وحكم بجهلهم وضلالهم في نفهم لرؤية الله في الآخرة، وذلك في تفسيره للآية (٥٥) من سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ وانظر كلامه بتمامه (١/ ٨٧) حيث قال: «وقد تواترت الأحاديث الصحيحة بأن العباد يرون ربهم في الآخرة، وهي قطعية الدلالة لا ينبغي لمنصف أن يتمسك في مقابلها بتلك القواعد الكلامية التي جاء بها قدماء المعتزلة، وزعموا أن العقل قد حكم بها، دعوى مبنية على شفا جرف هار، وقواعد لا يغتر بها إلا من لم يحظ من العلم النافع بنصيب، وسيأتيك إن شاء الله بين ما

تمكسوا به من الأدلة القرآنية، وكلها خارج عن موضع النزاع بعيد من موضع الحجة، وليس هذا موضع المقال في هذه المسألة» أ. هـ. وقد كان رحمه الله رجاءاً إلى الحق، بعيداً عن التعصب، فهذا اجتهاده، وإن كان قد أخطأ في مواضع، لكنه أحسن في أكثر منها، ومادام رجاءاً إلى الحق فإننا نقول رحمه الله ثم رحمه الله على ما أسداه للإسلام من خدمات جليلة في مجال نشر العلم السرمي في الفروع المختلفة، وقضائه بين الناس بما أنزل الله تعالى. وعلى صدعه بالحق لا يخاف في الله لومة لائم.

ومما وقع للشوكانى رحمه الله في تفسيره من الزلات، نقله لبعض الروايات الموضوعة والضعيفة التي وضعها طوائف من الشيعة والإمامية لنصرة ما ذهبوا إليه من الباطل المخالف لما كان عليه السلف فإن السلف يثبتون الإمامة لأبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله

عنهم جميعاً، وهذا من أصول اعتقادهم التي نقلوها في كتبهم، وادعت الشيعة أن علياً أحق بالإمامة وأن الشيخين قد اغتصباها منه، وأن الأمة كتبت نصوصاً تدل على أحقيته فيها، وقد أورد الشوكاني بعض هذه الروايات الموضوعة دون أن ينبه عليها، ونحن نربأ به أن يكون مورداً لنصوص تؤيد ما ذهبت إليه الشيعة، عمداً منه، ولكن فاتته التنبيه عليها، فمنها:

١ - ذكر ضمن ما ذكر من الروايات عن ابن عباس أنه قال: تصدق علي بخاتم وهو راکع، فقال النبي ﷺ للسائل: من أعطاك هذا الخاتم؟ قال: ذلك الراكع. فأنزل الله فيه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ...﴾ وصرح الشوكاني على هذه الرواية الموضوعة باتفاق أهل العلم فلم ينبه عليها، وانظر (فتح القدير ٢/ ٥٣).

٢ - أورد الشوكاني كذلك (جزء ٢ / ٦٠) في تفسير الآية (٦٧) من سورة المائدة قال: «وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ...﴾ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ». ولم يبين الشوكاني عدم صحة هذه الرواية بل أوردتها كما رأيت وسكت عنها.

٣ - وأورد كذلك (٢ / ٦٠) عقب كلامه السابق رواية أخرى قال فيها: «وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال: كنا نقرأ على عهد رسول الله ﷺ (يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ عَلِيًّا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) وسكت عن هذه الرواية كذلك. وكان الواجب عليه بيان حالها، لأن مسائل الإمامة

هي من مسائل الأصول عند السلف وليس معنى ذلك أنها من مسائل أصول الإيمان كأركانها الستة مثلاً، ولكن لما ضلت طوائف الشيعة والرافضة في هذا الباب، وأكثروا فيه الابتداع نص العلماء فيما نصوا عليه من مسائل الأصول التي أوردوها في كتب العقيدة، نصوا على هذه المسألة حتى يغلقوا باب الفتنة والابتداع في الدين، والافتراء على أصحاب رسول الله ﷺ، ورميهم بما هم براء منه.

هذا وما يؤسف له وجود تيار بين بعض الناشئة ممن لم ينالوا قسطاً وافراً من الإمام بالعلوم الشرعية، وبما هو لائق بأهل العلم العاملين من الإكرام والإنصاف، لذا تراهم يعرضون عن قراءة كتاب «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» لابن حجر العسقلاني، وكتاب «شرح صحيح مسلم» للنووي، وكتاب «فتح القدير» للشوكاني، وهذا منهم جهل وقصور، فإنهم لم يبلغوا

عشر معشار هؤلاء في العلم والورع والصدع بالحق والزهد في الدنيا والعمل بعلمهم وما وقع من هنات^(١) فإنه قطرات قليلة في بحر صوابهم وحسناتهم الزاخرة، فله درهم على ما قدموا للإسلام، وعلى ما نشروا من علومه، وعلى ما نوروه من قلوب مظلمة بفضل الله تعالى، ونصيحتي لهؤلاء أن يقفوا من هؤلاء العلماء موقف المنصف، وأن يكفوا ألسنتهم عن الوقوع فيهم، فإنهم بين يدي الله تعالى، ويخشى على من وقع فيهم أن يكون ممن يأكلون لحوم العلماء المسمومة وأن ينظروا إلى ما ألقى

(١) لأن أي شخص من أهل السنة صاحب منهج صحيح إذا زل في أمر جزئي لا يكون حكمه حكم مبتدع فاسد المنهج، لأن خطأ الأول خطأ جزئي، وخطأ الثاني خطأ منهج مذهبي. ولذلك ترى شيخ الإسلام لا ينهى عن قراءة شرح صحيح مسلم للنووي ونحوه كما هو في كتب الفلاسفة والمعتزلة والماتريدية والأشعرية لأن شرح صحيح مسلم للنووي على طريقة المحدثين ونهجهم على ما وقع فيه من هنات وزلات.

الله لهم ولكتبهم من القبول والذیوع بين الناس ، فهذه
والله بشارة خير لهم ، وإن كان ثمة أخطاء فيجب أن تبين
ولكن بهدوء وأدب ، ودون الخوض فيهم والتنقص لهم .
وأخيرا فلا أدعي أني قد وفيت الموضوع حقه ، وما
أتيت به فإنه أمثلة لهئات وزلات وقع فيها المؤلف رحمه
الله في تفسيره «فتح القدير» وصدق الله : ﴿ولو كان من
عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ والله من وراء
القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

جاء في تفسير فتح القدير للإمام المجتهد العلامة
قاضي قضاة القطر اليماني محمد بن علي بن محمد
الشوكاني تأويل بعض الصفات على خلاف الظاهر
وعلى خلاف منهج السلف وإليك الأمثلة على ذلك :

المثال الأول:

الآية رقم (٧) من سورة الفاتحة : قول الله تعالى :
م غير المغضوب عليهم ﴿١﴾ .

فقد فسر الغضب^(١) بلازم معناها وأثرها وهي العقوبة
وهذا تعطيل لهذه الصفة قال الإمام أبو حنيفة : «ولا
يقال غضبه عقوبته ورضه ثوابه»^(٢) ، وقال ابن جرير في
تفسير هذه الآية : «من أجل أن من أنعم الله عليه فهداه
لدينه الحق ، فقد سلم من غضب ربه . . .»^(٣) .

(١) فتح القدير (١/ ٢٤) .

(٢) الفقه الأبسط ص (٥٦) .

(٣) تفسير ابن جرير (١/ ١٠٨) .

المثال الثاني:

الآية (١٥) من سورة البقرة قوله تعالى : ﴿الله يستهزئ بهم﴾ .

فقد ذكر الشوكاني أن استهزاء الله بالمنافقين على سبيل المشككة^١ وهذا فيه نظر فإن معنى ذلك نفي صفة استهزاء الله بالمنافقين والصواب إثبات صفة استهزاء الله بالمنافقين على ما بيّن به وليس كاستهزاء المخلوقين ومن صور هذا الاستهزاء أنه تعالى يمد الظالم في ظلمه وفي طغيانه ويعطيه ما يشتهي حتى يرد بعد ذلك إلى ما لم يكن يحتسب من الله ، ومن استهزائه بهم أن زين لهم ما كانوا فيه من السقاء والأحوال الخبيثة حتى ظنوا أنهم مع المؤمنين لما لم يسلط الله المؤمنين عليهم ومن استهزائه بهم

(١) فتح القدير (١/ ٤٤).

يوم القيامة أن يعطيهم مع المؤمنين نوراً ظاهراً فإذا مشى المؤمنون بنورهم طفىء نور المنافقين وبقوا في الظلمة بعد النور متحيرين^(١).

المثال الثالث:

الآية (٢٧) من سورة البقرة قوله تعالى : ﴿إِنْ اللَّه لَا يَسْتَحْي أَن يَضْرِب مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا﴾ .
حمل الشوكاني الحياء على المشاكلة^(٢) والتمثيل وهذا فيه نظر، فقد قال ابن جرير : «إِنْ اللَّه جَلَّ ذِكْرُهُ أَخْبَر عِبَادَهُ أَنَّهُ لَا يَسْتَحْي أَن يَضْرِب مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا عَقِيبُ أَمْثَالٍ قَدْ تَقَدَّمَتْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ ضَرْبُهَا لِلْمُنَافِقِينَ دُونَ الْأَمْثَالِ الَّتِي ضَرْبُهَا فِي سَائِرِ السُّورِ وَغَيْرِهَا»^(٣).

(١) انظر تفسير ابن جرير (١/ ١٦٥ - ١٦٦).

(٢) فتح القدير (١/ ٥٦).

(٣) تفسير ابن جرير (١/ ٢١٤).

وقال البغوي : «أي : لا يترك ولا يمنعه الحياء أن يضرب مثلاً يذكر»^(١). وقال ابن القيم : «وهذا جواب اعتراض اعتراض به الكفار على القرآن وقالوا : إن الرب أعظم من أن يذكر الذباب والعنكبوت . . فأجبهم الله تعالى إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها فإن ضرب الأمثال بالبعوضة فما فوقها إذا تضمن تحقيق الحق وإيضاحه وإبطال الباطل وإصحاده كان من أحسن الأشياء والحسن لا يستحي منه فهذا جواب الاعتراض»^(٢). وقال السعدي : «أي مثل كان - بعوضة فما فوقها - لا شتمال الأمثال على الحكمة وإيضاح الحق والله لا يستحي من الحق»^(٣).

(١) معالم التنزيل (١/٥٨).

(٢) بدائع الفوائد (٤/١٣٦).

(٣) تفسير السعدي (١/٦٥).

المثال الرابع:

الآية (٣١) من سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾.

فسر المؤلف^(١) المحبة بالإِنعام عليهم وبِالغفران وهذا مذهب نظر لأنه تفسير للملزوم باللائم، والصواب ما عليه سلف هذه الأمة من إثبات صفة المحبة لله عز وجل على ما يليق بجلاله فالآية تبين أن محبة الله ورضوانه وثوابه لا ننال إلا بتصدق ما جاء به الرسول من الكتاب والسنة وامتنال أمرهما واجتناب نهيهما فمن فعل ذلك أحبه الله وجازاه جزاء المحبين وغفر له ذنوبه وستر عليه عيوبه^(٢).

فالسلف يثبتون اللازم مع إثبات الملزوم، بخلاف الخلف فإنهم يثبتون اللازم وينفون الملزوم ومن هنا يقعون في تعطيل الصفات وتحريف نصوصها.

(١) فتح القدير (١/٣٣٣).

(٢) انظر تفسير ابن سعدي (١/٣٧٤).

المثال الخامس:

الآية (٣٢) من سورة آل عمران قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ .

قال المصنف : « نفي المحبة كناية عن البغض والسخط » .

قلت : رحم الله المؤلف فقد ذكر عبارة توهم خلاف المقصود لأن « الكناية » من مصطلحات المجازيين المؤولين مع أن هذه الآية ليس فيها كناية .

قال ابن جرير في تفسير هذه الآية : « قل يا محمد هؤلاء الوفد من نصارى نجران أطيعوا الله والرسول محمدا . . . فإن تولوا فاستدبروا عما دعوتهم إليه من ذلك وأعرضوا عنه فأعلمهم أن الله لا يحب من كفر فجحد

«أعرف من الحق وأنكر بعد علمه...»^(٢)، ولعل مراد
المعسر رحمه الله أن الله تعالى إذ لم يحبهم يلزم ذلك أنه
«عصهم ويسخطهم».

(٢) تفسير ابن جرير (٣/٢٣٣)

المثال السادس:

الآية (١٦٩) من سورة آل عمران قوله تعالى : ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ .
فسر المؤلف^(١) العندية بالكرامة وهذا فيه نظر لأنه
ينضمن إبطال صفة العلو.

* قال ابن جرير: «الذين قتلوا بأحد من أصحاب
رسول الله ﷺ (أمواتا) يقول: ولا تحسبنهم يا محمد
أمواتا لا يحسون شيئا ولا يلتذون ولا يتنعمون فإنهم
أحياء عندي متنعمون في رزقي فرحون مسرورون بما
أتيتهم من كرامتي . . .»^(٢)
ولفظ (عند ربهم) يفتضي عو درجتهم وقربهم من
ربهم^(٣).

(١) فتح القدير (١/٣٩٩).

(٢) تفسير ابن جرير (٣، ٥١٣).

(٣) تفسير ابن سعد (٤٥٥١).

المثال السابع:

الآية (١٥) من سورة المائدة قوله تعالى : ﴿بل يده مبسوطتان﴾ .

قال المؤلف : «أي بل هو في غاية ما يكون من الجود وذكر اليدين مع كونهم لم يذكروا إلا اليد الواحد مبالغة في الرد عليهم بإثبات ما يدل على غاية السخاء فإن نسبة الجود إلى اليدين أبلغ من نسبته إلى اليد الواحدة وقيل المراد بقوله : (بل يده مبسوطتان) نعمة الدنيا الظاهرة ونعمتها الباطنة وقيل نعمة المطر والنبات» (١) .

* قلت : لاشك أن الله سبحانه بسط فضله وجوده وإحسانه على عباده لكن المصنف رحمه الله تعالى أغفل إثبات صفة اليدين بل وصرفها عن حقيقتها وقد أجمع أهل السنة على القول بما تضافرت على إثباته النصوص

(١) فتح القدير (٥٧/٢) ، وانظر أيضا (٥٧/٢) (٤٨/٥) .

من الكتاب والسنة من أن لله يدين على الكيفية اللائقة بجلاله ، والكيف مجهول والتثنية هنا إثبات لأنها يدان وليست يدا واحدة وفي حديث الشفاعة الكبرى : «يا آدم أما ترى الناس ؟ خلقتك الله بيديه وأسجد لك ملائكته» الحديث^(١) . فيجب المصير إلى هذا القول وتفسير الآية على هذا المعنى ، نعم الجود من لوازم إثبات صفة اليد لكن لا يجوز تفسير الآية باللازم وترك الملزوم ومن القواعد المقررة عند أهل السنة الإيمان بأسماء الله وصفاته وأحكام الصفات .

(١) رواه البخاري في التفسير باب قول الله تعالى . ﴿وعلم آدم الأسماء﴾ ٤ / ١٦٢٤ ، والرقق باب صفة الجنة والنار ٥ / ٢٤٠١ . والتوحيد باب قول الله تعالى : كما خلقت بيدي وباب كلم الله موسى تكليماً ٦ / ٢٧٣٠ ، من حديث أنس رضي الله عنه .

المثال الثامن:

الآية (١٨) من سورة الأنعام قوله تعالى : ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ .

قال المؤلف : «معنى (فوق عباده) فوقية الاستعلاء بالقهر والغلبة عليهم . لا فوقية لمكان كما تقول : السلطان فوق رعيته : أي بالمنزلة والرفعة»^(١) .

* قلت : لا شك أن الله فوق عباده بالقهر والغلبة عليهم فلا يتصرف منهم متصرف ولا يتحرك متحرك ولا يسكن ساكن إلا بمشيئته سبحانه وتعالى فهو المستحق وحده للخضوع والذل .

ولكن المصنف رحمه الله تعالى نفى علو الله على خلقه وهذا مخالف لما تضافرت على إثباته النصوص من الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة .

(١) فتح القدير (٢ / ١٠٤) .

قال ابن جرير في تفسير هذه الآية: «والله الظاهر فوق عباده يعني بقوله (القاهر) المذل المستعبد خلقه العالي عليهم»^(١).

(١) تفسير ابن جرير (٥ / ١٦١).

المثال التاسع:

الاية (١٥٨) من سورة الانعام قوله تعالى : ﴿ هل سفلرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك . . ﴾ .
 قال المؤلف : (أو يأتي ربك) يا محمد كما اقترحوه ، موهم - (لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا) - وقيل : معناه أو يأتي ربك بإهلاكهم وقيل المعنى : أو يأتي كل آيات ربك بدليل قوله (أو يأتي بعض آيات ربك) وقيل هو من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله وقد جاء في القرآن حذف المضاف كثيرا كقوله - واسأل القرية - وقوله - واشربوا في قلوبهم العجل - أي حب العجل ، وقيل إتيان الله مجيئه يوم القيامة لفصل القضاء بين خلقه كقوله - (وجاء ربك والملك صفا صفا) - .

(١) فتح القدير (٢ / ١٨١) ، وانظر أيضا (١ / ٢١٠) .

*** قلت: رحم الله المصنف فقد جمع بين التعطيل والتفويض والإثبات بذكر الأقوال المتضادة المتعارضة التي منها حق ومنها باطل فالحق قوله: «يا محمد كما اقترحوه بقولهم - لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا -» وكذا قوله الأخير (وهو إتيان الله لفصل القضاء بين خلقه) وهذا هو الحق الذي مضى عليه سلف الأمة قال ابن جرير: «يقول جل ثناؤه هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام (إلا أن تأتيهم الملائكة) بالموت فتقبض أرواحهم أو أن يأتيهم ربك يا محمد بين خلقه في موقف القيامة»^(١) فالله يأتي لفصل القضاء بين العباد ومجازاة المحسنين والمسيئين.**

أما قول المصنف: أو يأتي أمر ربك بإهلاكهم فهذا من تأويل المعطلة حيث جعلوه على حذف المضاف على

(١) تفسير ابن جرير (٥/٤١٤).

سبل ادعاء المجاز فيه ، وأما قوله : هو من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله فإن أراد أن معنى الإتيان من المسابه فهذا فيه نظر فمعناه محكم وليس من المتشابه ، إن أراد الكيفية فهذا حق فالكيف مجهول فالحاصل أن معاني آيات الصفات من قبيل المحكمات الواضحات ، ولست من قبيل المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله . . .

المثال العاشر:

الآية (٩) من سورة الرعد قوله تعالى: ﴿الكبير المتعال﴾ .

قال المؤلف: «أي العظيم الذي كل شيء دونه، المتعالي عما يقوله المشركون أو المستعلي على كل شيء بقدرته وعظمته وقهره»^١ .

* قلت: هذا أحد معاني العلو الثابتة له سبحانه، فهو المنعالي على كل شيء بقهره والمتعالي عن كل سوء ونقص بكماله ولكنه لم يذكر المعنى الآخر: وهو المتعالي بذاته فوق خلقه كأنه مشى على طريقة المتكلمين في تأويل صفة العلو بالقهر، مع أن علو الله يشمل النوعين؛ فذكر علو القهر وترك علو الذات تعطيل بحث .

(١) فتح القدير (٣/٦٨) ، واطر أيضا (١/٢٧٢) (٥/٢٨٨)

قال الإمام ابن القيم رحمه الله :
وله العدو في الوجوه جميعا
ذاتا وقهرا مع علو الشأن
لكن نفاة علوه سلبوه إك
سمال العلو فصار ذا نقصان
حاشاه من إفك النفاة وسلبهم
فله الكمال المطلق الربان^(٢)

(٢) النونية مع شرحها ١ / ٢٠٨ .

المثال الحادي عشر:

الآية (٨٨) من سورة القصص قوله تعالى : ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ .
قال المؤلف : «أي إلا ذاته»^(١) .

* قلت : إن كان المؤلف يريد تأويل صفة الوجه بالذات وأن الكلام مبني على المجاز فهذا تعطيل واضح فالوجه من صفات لله الحقيقية التي تليق به سبحانه ولا شك أن الوجه يستلزم الذات .

ففوله تعالى : ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ معناه كل شيء هالك إلا وجهه تعالى أي يبقى وجهه تبارك وتعالى ولا يهلك فيلزم من بقاء وجهه بقاء ذاته فلا يجوز إرادة اللازم ونفي الملزوم فإذا وجد مثل كلام المؤلف في تفسير

(١) فتح القدير (٤ ١٨٩)



الاله عند أئمة السنة فهذا هو قصدهم فهم يشتون ذات
الله مع إثبات صفة الوجه بخلاف المعطلة فهم يريدون
بإله بل الوجه بالذات وقصدهم نفي الصفة.

المثال الثاني عشر:

الآية (١٠) من سورة فاطر قوله تعالى : ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ .
قال المؤلف : «أي إلى الله يصعد لا إلى غيره ومعنى صعوده إليه قبوله له أو صعود الكتبة من الملائكة بها يكتبون من الصحف . . »^(١)

* قلت : غفر الله للمؤلف فليس معنى الصعود القبول بل معناه : أن الكلم الطيب من قراءة وتسبيح وتحميد وتهليل وكل كلام حسن طيب يرفع إلى الله ويعرض عليه ويثني على صاحبه بين الملائكة الأعلى فهذه الآية من أعظم الحجج الدالة على إثبات صفة العلو عند أهل السنة أما المعطلة فإنهم يؤولون صعود الكلم

(١) فتح القدير (٤ / ٣٤١) .

١٠. ر م معناه وهو القبول فيجب مع إثبات اللازم إثبات
الملزوم . والله أعلم .

قال الإمام ابن القيم :

هذا وخامسها صعود كلامنا

بالطيبات إليه والإحسان

وكذا صعود الباقيات الصالحا

ت إليه من أعمال ذي الايمان

وكذا صعود تصديق من طيب

أيضا إليه عند كل أوان^(٣)

(٢) النونية مع شرحها ١ / ٢١٦ .

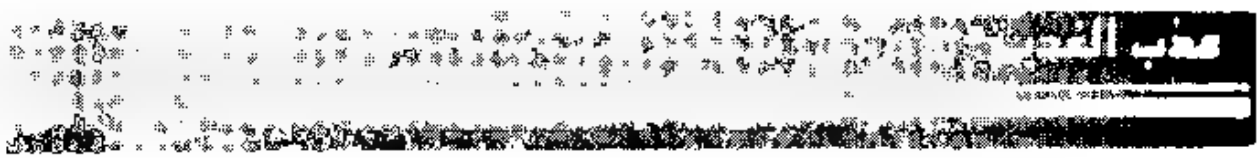
المثال الثالث عشر:

الآية (١) من سورة الملك قوله تعالى : ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ .

قال المؤلف : «اليد مجاز عن القدرة والاستيلاء»^(١) .
* قلت : غفر الله للمؤلف فهذا تعطيل واضح وعدول عن ظاهر اللفظ وخلاف لما فهمه السلف .
قال ابن جرير : «الذي بيده الملك : بيده مُلك الدنيا والاخرة وسُلطانها ، نافذ فيهما أمره وقضاؤه»^(٢) .
فلا ينبغي تغيير صفة بأخرى لأن القدرة غير اليد .
والأدلة على تغايرهما كثيرة جدا من القرآن والسنة واللغة ،
ومن القواعد المقررة والمتفق عليها بين سلف الأمة
وأئمتها الإيذان بأسماء الله وصفاته وأحكام الصفات .

(١) فتح القدير (٥ ٢٥٨) .

(٢) تفسير ابن جرير (١٢ ١٦٤) .



المثال الرابع عشر:

الآية (١٦) من سورة الملك قوله تعالى : ﴿ أأَمْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ .
قال المؤلف : « قدرته وسلطانه وعرشه وملائكته »^(١) .
* قلت : غفر الله للمؤلف فقد عطل صفة العلو وعدل عن ظاهر اللفظ .

قال ابن جرير في تفسير هذه الآية : « من في السماء : وهو الله »^(٢) .

فهذه الآية من أعظم الحجج على إثبات صفة العلو له ثم حمله على القدرة والسلطان ينافي سياق هذه الآية من ناحية اللغة لأن كلمة (من) لذوي العقول والقدرة والسلطان والملك ليس من ذوي العقول فلو كان المراد

(١) فتح القدير (٥ ٢٦٢)

(٢) تفسير ابن جرير (١٢ ١٦٩) .

القدرة والملك لكان المناسب أن يقول : (أأمنتُم ما في
السَّماء) بدلا من (مَن) .

وكلمة (في) في هذه الآية بمعنى كلمة (على) ؛ فالمعنى :
أن الله تعالى على السماء ؛ أي فوق سمواته على عرشه .
أو كلمة (السَّماء) بمعنى جهة الفوق والعلو ؛ فالمعنى :
أن الله تعالى في جهة العلو ؛ أي أن الله تعالى فوق خلقه
عال على عرشه ؛ وجهة العلو على هذا أمر عديم ، فلا
يلزم في هذا كون الله تعالى في شيء مخلوق ، فإن الله
تعالى بائن من خلقه ليس هو في شيء من خلقه ، وهذه
الآية من أعظم الحجج القاطعة الدالة على علو الله
تعالى على خلقه عند أئمة السنة قال الإمام ابن القيم
رحمه الله :

هذا وتاسعها النصوص بأنه

فوق السَّماء وذا بلا حسابان

إذ أجمع السلف الكرام بأن مع
 ساءها كمعنى الفوق بالبرهان
 أو أن لفظ ساءه يعني به
 نفس العلو المطلق الحقاني
 والرب فيه وليس يحصره في الـ
 مخلوق شيء عز ذو سلطان
 كل الجهات بأسرها عدمية
 في حقه هو فوقها ببيان^(٣)

(٣) النونية مع شرحها ١/ ٢٢٢.

المثال الخامس عشر:

الآية (٤٢) من سورة القلم في قوله تعالى : ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ .

لقد ساق الشوكاني رحمه الله تعالى في تفسيره الساق أقوال الناس بأن المراد شدة الأمر والهول وذكر في الاستشهاد عدة أشعار للعرب . ثم قال : «وسياقي في آخر البحث ماهو الحق . وإذا جاء نهر الله بطل نهر العمل ، ثم ساق حديث الساق المتفق عليه ثم قال : «وقد أغنانا الله سبحانه في تفسير هذه الآية بما صح عن رسول الله ﷺ كما عرفت . وذلك لا يستلزم تجسيما ولا تشبيها فليس كمثله شيء .

دعوا كل قول عنه قول محمد

^(١) فما أمن في دينه كمخاطر»

(١) فتح القدير (٤ / ٢٧٥ ، ٢٧٨) .

* قلت : التحقيق أن الساق في هذه الآية تحمل

معنيين :

- الأول : أن يكون المراد شدة الهول كما فسر بذلك ابن عباس وغيره من المفسرين . فعلى هذا لا تكون هذه الآية من آيات الصفات . فلا يلزم من تفسير الساق شدة الهول تأويل الصفات ويكون إثبات «الساق» بالسنة لا بهذه الآية .

- والثاني : أن المراد من الساق ساق الله تعالى كما ورد في الحديث الصحيح فعلى هذا تكون هذه الآية في جملة آيات الصفات فلا يجوز تأويل الساق بشدة الهول والأمر .

ولا منافاة بين القولين . فالله يكشف عن ساقه يوم شدة الهول وهذا خلاف قول المعطلة الذين ينفون صفة الساق ولا يثبتونها لا بالقرآن ولا بالسنة ، بل حملوا الآية

والحديث على شدة الأمر، وهذا وإن كان محتملا في الآية لكنه لا يحتمل في تفسير الحديث، لورود الساق مضافة إلى الضمير العائد على الله تعالى^٢.

ولاشك في أن القول الثاني أظهر وأرجح في تفسير الآية، وأولى بأن تفسر الآية به، لما ورد فيه من الحديث السابق كما عرفت.

ويا ليت المؤلف رحمه الله قرر الحق في أول كلامه لئلا يقع القارئ في اضطراب ووهم.

(٢) انظر تفسير ابن جرير (١٢/١٩٧) وتفسير ابن كثير (٧/٩٠-٩١)

المثال السادس عشر:

الآية (١) من سورة الأعلى قوله تعالى : ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ .

ذكر المؤلف رحمه الله ما كان لازماً لصفة^(١) العلو فقط والأعلى اسم من أسماء الله تعالى يشتمل على إثبات صفة العلو لله تعالى ومعناه الأعلى من كل شيء ، فهو أفعل تفضيل دال على علوه تعالى بكل معاني العلو فهو الأعلى قدراً ومنزلة ، وهو الأعلى بالقهر والغلبة ، وهو الأعلى بذاته فوق كل شيء .
قال الحافظ الحكمي :

الأحد الفرد القدير الأزلي
الصمد البر المهيمن العلي

(١) فتح القدير (٥/٤٢٣)

علو قهر وعلو الشأن
جل عن الأضداد والأعوان

كذا له العلو والفوقية
على عباده بلا كيفية
ومع ذا مطلع إليهم
بعلمه مهيمن عليهم
وذكره للقرب والمعية
لم ينف للعلو والفوقية
فإنه العلي في دنوه
وهو القريب جل في علوه^(٢)

(٢) معارج القبول (١/١٣٦).

المثال السابع عشر:

الآية (٢٢) من سورة الفجر قوله تعالى : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفَا صَفَا﴾ .

حمل المؤلف^(١) رحمه الله تعالى هذه الآية على المجاز على طريقة حذف المضاف أي جاء أمره وهو باطل وخلاف لظاهر النص وعدول عنه إلى معنى آخر وخلاف لما فهمه السلف من الآية ومسايرة للجهمية وأفراخهم الماتريديّة والأشعرية .

قال ابن جرير رحمه الله : «يقول تعالى ذكره : وإذا جاء ربك يا محمد وأملاكه صفوفاً، صفا بعد صف»^(٢) فالمجيء صفة من صفات الله على الحقيقة على ما هو

(١) فتح القدير (٥ / ٤٤٠)

(٢) تفسير ابن جرير (١٢ / ٥٧٦) .

لائق بالله بلا معرفة الكيف ، ومن الدلائل على بطلان
تأويل المجيء بالأمر أن الملائكة من أمر الله فلا معنى
لمجيء الأمر مع التصريح بمجيء الملائكة لأنه يكون
ذكرا للملائكة بلا فائدة .



المثال الثامن عشر:

الآية (١٥) من سورة العلق قوله تعالى : ﴿ألم يعلم

بأن الله يرى﴾ .

فسر المؤلف^(١) رحمه الله تعالى الرؤية بالعلم وهذا فيه

نظر لأن العلم من لوازم الرؤية لكن الرؤية غير العلم .

قال ابن جرير في تفسير هذه الآية : «يقول تعالى ذكره :

ألم يعلم أبو جهل إذ ينهى محمدا عن عبادة ربه والصلاة

بأن الله يراه فيخاف سطوته وعقابه»^(٢) .

ففي الآية إثبات صريح لصفة الرؤية لله تعالى بلا
كيف .

(١) فتح القدير (٥ / ٤٦٩) .

(٢) تفسير ابن جرير (١٢ / ٦٤٨) .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبعد :
فهذا ما أردت التنبيه إليه مما وقع فيه الشوكاني رحمه الله
في «فتح القدير» ولم أقصد الاستيعاب وليس سوقي لهذه
الأخطاء ، نتقاصا لهذا التفسير العظيم أو هضمًا لحقه أو
محاكمة لشخص المؤلف الإمام رحمه الله تعالى وهو بين
يدي ربه عز وجل .

وإنما هي أمور رأيت من اللازم علي شرعا أن أنبه عليها
وألفت أنظار طلبة العلم إليها حتى يكونوا على بينة من
أمر دينهم ، والله أسأل القبول وأن يجعل هذا العمل في
ميزن حسناتي يوم ألقاه ، وصلى الله وسلم وبارك على
نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة
٢١	المثال الأول
٢٢	المثال الثاني
٢٤	المثال الثالث
٢٥	المثال الرابع
٢٦	المثال الخامس
٢٨	المثال السادس
٢٩	المثال السابع
٣١	المثال الثامن
٣٣	المثال التاسع
٣٦	المثال العاشر



٣٨	المثال الحادي عشر
٤٠	المثال الثاني عشر
٤٢	المثال الثالث عشر
٤٣	المثال الرابع عشر
٤٦	المثال الخامس عشر
٤٩	المثال السادس عشر
٥١	المثال السابع عشر
٥٣	المثال الثامن عشر
٥٥	الخاتمة

دار الصمعي للنشر والتوزيع

هاتف ٤٢٦٢٩٤٥ - ص.ب ٤٩٩٧ الرياض ١١٤١٢